

كيف نفهم انتاج زكي ناصيف الموسيقي ؟

تقييم للدكتور وليد غلمية (الكونسرفاتوار الوطني اللبناني) و الدكتور بول ميرز (الجامعة الاميركية في بيروت)

ينتمي النتاج الفني لزكي ناصيف (1916-2004) إلى الجو السائد في الثقافة اللبنانية؛ فأغانيه الجميلة هي مزيج فائن يجمع الشرق والغرب. ويمكن للمطرب العربي التقليدي غناء ألحانه بسهولة، وكذلك المغني الغربي.

إن سلاسة انتقال تلك الأغاني إلى الأسلوب الغربي عائدة إلى عدم اعتمادها على تعقيدات المقام الموسيقي العربي الذي يتمتع بنغمات مختلفة عن النظام الموسيقي الغربي. كما تُظهر أغانيه تأثراً عميقاً بالتراثين السرياني والبيزنطي وتميزاً عن سائر التراثات الموسيقية العربية.

لا تعتمد الموسيقى العربية التقليدية على التناغم، وإنما على التغيرات الصوتية المتعددة: يمكن للأجزاء أن تتكرر (لا أن تتناغم) بدرجة أدنى أو أعلى، وبآلات أو أصوات مختلفة. كذلك فإن الإيماءات الموسيقية المرتبطة بأصوات اللغة العربية تلون الأسلوب الغنائي أكثر من أي شيء آخر. ولكن أغاني ناصيف قد تحوي تناغماً. في "ميلي يا حبات بلادي" و"دقة دقة مشينا"، أوجد ناصيف تناغماً بين الغناء والعزف المصاحب، وإن كان معظمها في انسجام تام.

في هذا الأداء الموسيقي، من الممكن ان يرتجل عازفين موسيقاه على ادات كل العود والبيانو حيث لم تكن النوتة موجودة في المخطوط الأصلي. باختصار، هناك شبه كبير بين أغاني ناصيف وأسلافه الأميركيين في ال "Country Music" مثل كول بورتر وريتشارد رودجرز، فكلاهما يوفر للمؤلفين والموزعين الموسيقيين فرصة كبيرة للارتجال والاسترسال؛ وهو ما جعل ناصيف يسمّى أبا الأغنية العربية الحديثة.